منهج دراسة النحو العربي عند البصريين، دراسة وصفية تحليلية تطبيقية

إعداد:
الدكتور: إبراهيم علي كياري

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص:

لقد عني إن البحث عبارة عن التعريف للمنهج في اللغة والاصطلاح، وتعريفا موجزا للنحو العربي ونشأته، وتطرق الباحث لمعنى المدرسة النحوية، وهل كانت هذا اللفظ موجود ومألوف لدى العرب القدامى أم لا، وعالج الباحث مناهج دراسة النحو العربي عند البصريين، وهذه المناهج هي: منهج اختيار المادة العلمية، ومنهج اختيار سلامة اللغة، ومنهج التثبت والتأكد من الثقات في صحة المروي، ومنهج كمية المقيس عليه المنقول عند العرب، واتبع الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي.

The research meant the definition of the curriculum in language and terminology, and a brief definition of Arabic grammar and its genesis, and the researcher touched on the meaning of the grammatical school, and whether this term was present and kwon to the ancient Arabs or not. The method of verification and verification of trustworthy sources in the authenticity of the narrators, and the method of quantitative measurement that was transmitted by the Arabs, and the researcher followed the descriptive analytical method in his study.

مقدمة:

الحمد لله الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، ونصب نفسه للطالبين، والصلاة والسلام على أفصح الناس لفظاً وقولاً وإعراباً وكلمة، وكلاماً مبين، وأحسنهم اسما وفعلاً وصفةً ووصفاً ومعرفة وكنيةً وعلَماً ولقباً وتمييزاً وحالاً، وخاتم النبيين والمرسلين، وعلى آله وأصحابه الذين رفعوا الفاعل ونصبوا المفعول وخفضوا المضاف فصاحة منهم وسجيةً لهم، كيف لا؛ وقد فازوا بصحبة أفضل الخلق أجمعين، صلى الله عليه وعليهم ما أعرب معرب قام زيد وعمرو وانطلق بكر وبشر، وامْتُثِلَ نهي وأمر، وما دامت السماوات والأرضين.

تعتبر اللغة بصفة عامة الوعاء الذي يحتضن ويحمل العلم، ويُنْتَقَلُ به من مكان إلى مكان، ومن زمن لآخر، ولولا نعمة اللغة التي امتنّ الله بها على عباده، لما توارثت الأمم حضارات غيرها، واستفادت من عِبَرِ الأحداث وما تفتقت عنه عقول العقلاء في كل فن وعلم.

فقد قال أهل العلم: النحو علم مستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله تعالى والكلام الفصيح، ومعرفته فرض كفاية. وقال إسحاق بن خلف البهرانى المشهور بابن الطبيب:

النحو يُصلح من لسان الألكن ××× والمرء تعظمه إذا لم يلحن

فإذا طلبت من العلوم أجـلّها ××× فأجلّها منها مقيم الألسن

وقال علي بن بسام:

رأيت لسان المرء رائد علمه ××× وعنوانه فانظر بماذا تعنون

ولا تعد إصلاح اللسان فإنه ××× يخبّر عما عنده ويُبيّن.

ويرى ابن جني في كتابه الخصائص: أن النحو طريقة لمحاكاة العرب في طريقة كلامهم؛ وذلك من أجل تجنب اللحن، ولتمكين المستعربين في الوصول إلى مرتبة العربي في الفصاحة، وسلامة اللغة التي يتكلمها، وبالتالي يكون غرض علم هو تحقيق هذين الهدفين. ولهذه الأهمية جاءت فكرة العنوان: **"منهج دراسة النحو العربي عند البصريين دراسة وصفية تحليلية تطبيقية"** لبيان منهج الذي اتبع الأقدمون في حفظ اللغة، وتكمن مشكلة البحث في عدم الإلمام بمنهج دراسة النحو العربي عند البصريين لكثير من العلماء وطلاب العلم، إذ من النادر بيان مثل هذا المنهج في كتب النحو العربي، واتبع الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي.

تعريف المنهج في اللغة والاصطلاح:

المنهج لغة: هو مصدر مشتق من الفعل (نهج) بمعنى: طرق أو سلك أو اتبع، والنهج والمنهج والمنهاج تعني: الطريق الواضح.

المنهج اصطلاحا: طريقة يصل بها إنسان إلى حقيقة أو معرفة، وهو ينتمي إلى علم الأبستمولوجيا ويعني علم المعرفيات أو نظرية المعرفة. ولكل منهج معايير.

للناطقين العربية اللغة منهج بناء بمعايير ويقصد في يتوافر تصف ما ينبغي أن خبرية أخرى: جمل بلغات تشتمل وخصائص صفات، من للمتعلم المقدمة الخبرات الجوانب اللغوية والثقافة، والنفسية، والتربوية، والمعرفية.

هو فكما التعليمية، العملية في محورية مكانة للمناهج وعمليات، توجد به مدخلات، نظام أي أن معروف هم المتعلمين أن نجد التربية مجال وفي ومخرجات. العمليات، هي بها يرتبط المدخلات، والمناهج وما المخرجات هم والخريجين.

أن فيها أوضح دراسة (1985م) طعيمة رشدي وقد أجرى تعتمد على ثلاثة أسس هي: العربية اللغة مناهج

- الأسس التربوية.
- الأسس النفسية.
- والأسس الاجتماعية.

تعريف علم النحو:

علم النحو ويسمى علم الإعراب هو علم يعرف به حال أواخر الكلم، وعلم النحو يبحث في أصول تكوين الجملة وقواعد الإعراب.

وعلم النحو من العلوم الضرورية للمحافظة على اللغة العربية، ومن أحسن المنظومات المؤلفة فيه ألفية ابن مالك رحمه الله، فإنها جمعت مقاصد النحو وبينت مسائله، فمن تعلمها وأتقنها بلغ الغاية في هذا العلم.

نشأة علم النحو:

وعلم النحو إنما احتاج الناس إليه حين بدأ اللسان يختلف، ويقال: إن أول من ابتكره أبو الأسود الدؤلي في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك حينما دخل

فاستخدامنا كلمة مذهب لأنها تطلق على الطريقة التي سار عليها أحد النحاة أو عن الخلاف النحوي بشكل عام، فنقول مذهب البصرة والكوفة، وكذلك مذهب سيبويه والكسائي لأن الأصل كما ذكرنا سالفا أن الاختلاف المذهبين البصري والكوفي كان في الفروع فقط، أما الأصول فقد اتفق عليها جمهور العلماء دون خلاف أحدهم.

والذي يدل على ذلك أن من الممكن أن يوافق بصري كوفيا وبالعكس، بعدة آراء خاصة إذا كان الرأي موافقا منهج النحوي.

ومما يدل على ذلك أيضا خلو كلمة (المدرسة) من التراث العربي القديم بأن تدلل على المنهج النحوي والأمثلة على ذلك كثيرة، مثل ابن النديم يخصص بابا في كتابه يُفرد للكلام في النحو وأخبار النحويين واللغويين من البصريين والكوفيين، وكذلك الزبيدي فقد وضع النحويين واللغويين في طبقات، ابتدأها بطبقات النحويين البصريين وصنفهم إلى عشر طبقات وهكذا.

وأما المدارس اللسانية الحديثة، ففعلاً يحق لنا تسميتها بهذا الاسم، لأن أغلب المدارس في جوهرها وأصولها تختلف عن بعضها البعض، كل مدرسة بنشأتها وأسباب نشأتها وهدفها تخالف المدرسة الأخرى، وبهذا الأمر تميزت المدرسة النحوية العربية القديمة بمحافظتها على الأصل والثابت، وبذلك وحّدت الجهود للوصول إلى الهدف الأسمى وهو خدمة لغة القرآن الكريم.

منهج دراسة النحو العربي عند البصريين:

إن البصريين كانوا أكثر حرية وأقوى عقلا وطريقتهم أكثر تنظيما وخطتهم هي الاعتماد على الشواهد الموثوق بها، الكثيرة الدوران على السنة العرب التي تصلح للثقة فيها، ولن يكون ذلك إلا إذا وردت في كتاب الله أو نطق بها العرب الخلص الذين اعترف لهم بالفصاحة لبعدهم عن مظنة الخطأ، كالاتصال بالأعاجم سواء بالرحلة أو الجوار، أو لرسوخ قدمهم في اللغة وتبصرهم بها، واطلاعهم عليها ككبار العلماء والأدباء، هؤلاء الذين يمكن أن توضع أقوالهم موضع الاعتبار. لذلك لم يكن بدعا أن ترى السيوطي يقول: "اتفقوا على أن البصريين أصح قياسا لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع ولا يقيسون على الشاذ والكوفيين أوسع رواية"، وقال الأندلسي في شرح المفصل: "الكوفيون لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا وبوبوا عليه بخلاف البصريين".

ومن الأمور التي تراعيها نحاة البصرة في دراسة النحو في بحثها:

على ابنته وهي مضطجعة على فراشها تنظر إلى السماء وإلى المصابيح في الدجى، فقالت: يا أبت، ما أحسنُ السماء؟ فأجابها: نجومها.

لأن قولها: ما أحسنُ السماء، يعني: أي شيء أحسن في السماء؟ فقال: نجومها، وهي لا تريد هذا، إنما تريد أن تتعجب من حسن السماء، فقالت: لست أريد هذا، إنما أريد أن أتعجب من حسنها.

قال: يا بنية! افتحي فاك فقولي: ما أحسنَ السماءَ! لأنها إذا قالت: ما أحسنَ السماء! صارت الجملة جملة تعجب، وهذا هو المراد.

فذهب أبو الأسود الدؤلي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأخبره الخبر، وكأنه يقول: أدرك الناس لا يفسد لسانهم، فوضع له شيئاً من القواعد وقال له: انح هذا المنحى، فسمي علم النحو.

وعلم النحو وعلم الصرف صنوان يكمل أحدهما الآخر، لكن الناس إلى علم النحو أحوج منهم إلى علم الصرف؛ لأن علم النحو هو الذي تتغير به الكلمات كثيراً، وعلم الصرف تبقى الكلمة على ما هي عليه في اللغة لا تتغير سواء كانت فاعلاً أو مفعولاً أو مجروراً، لكن علم النحو هو الذي يكثر فيه التغيير، ولهذا كانت حاجة الناس إليه أعظم من حاجتهم إلى علم الصرف.

البصرة ومنهج دراسة النحو العربي:

المدرسة البصرية:

المدارس النحوية مصطلح يشير إلى اتجاهاتٍ ظهرت في دراسة النحو العربي، اختلفت في مناهجها في بعض المسائل النحوية الفرعية، وارتبط كل اتجاه منها بإقليمٍ عربي معين فكانت هناك مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، ومدرسة بغداد، ومدرسة أندلس وهكذا.

ولكن بعض العلماء لم يضعوا على تلك المدارس اسم مدرسة واستندوا برأيهم على مفهوم المدرسة، ووحّدوا أن كل تلك المدارس تسير نحو هدف واحد ورؤية واحدة، وهي النحو العربي، بثوابت كثيرة ومشتركة فيما بينهم، وما كان اختلافهم إلا الشيء القليل بفروع صغيرة، احياناً ما وصلت تلك الاختلافات بالرأي إلى توسعة دائرة الخلاف بين المدارس دون وجود مسبب أو مبرر لذلك الخلاف، ولذلك أطلقوا عليها اسم المذاهب أي: مذهب البصرة ومذهب الكوفة والمذهب البغدادي ونحوه.

ويميل الرأي لدينا إلى هؤلاء العلماء، بحيث تسمى كل تلك المذاهب باسم المدرسة النحوية العربية، بينما العديد من المعاصرين استحسنوا لفظ المدرسة فاستعاروها في مادة الخلاف النحوي، حتى في مسائل أدبية أخرى.

الخاتمة:

لقد اهتم البصريون بالنحو العربي منهجا ودراسة حيث ذكروا أربع مناهج لدراسة النحو العربي، وقد وجدت هذه المناهج بالاستقراء والتتبع لدراسة كتبهم النحو العربي وتتبع الخلاف بين البصريين والكوفيين، لذلك ترى السيوطي يقول: "اتفقوا على أن البصريين أصح قياسا لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع ولا يقيسون على الشاذ."، وقال الأندلسي في شرح المفصل: "الكوفيون لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا وبوبوا عليه بخلاف البصريين "، والأمر الآخر نزوح القبائل العربية العريقة في اللغة الفصحى إلى البصرة، فهي تقع على مقربة من البادية التي استطاب أهلها النزوح إليها، خالية من شائبة اللحن والعجمة، ممن هم من قيس وتميم.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، دار صادر بيروت، 1988م.
- أبو حيان النحوي، البحر المحيط، دار الكتب العلمية ببيروت، ط الأولى، سنة 2001م.
- أبو تراب الظاهري: لجام الأقلام، دار المعرفة بجدة، السعودية، ط الأولى، سنة 1404ه.
- أبو البقاء العكبري: التبيان بشرح ديوان المتنبي، دار الكتب العلمية ببيروت ط الأولى سنة 1418ه.
- ابن هشام الأنصاري المصري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الفكر ببيروت، لبنان، ط الثالث، سنة 1979م.
- أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص، الناشر، عالم الكتب - بيروت.
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، لشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، عام 1423هـ
- أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور، السماع والقياس، دار الآفاق العربية، القاهرة - مصر الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م
- السيد، المرتضى الزبيدي: إتحاف السادة بشرح إحياء علوم الدين، دار إحياء التراث العربي بالقاهرة، دون رقم طبعة ولا تاريخ.
- الشيخ محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، مكتبة إحياء التراث الإسلامي الطبعة: الأولى 2005م-1426هـ.
- تاج السر عبد الله الشيخ: القياس والتقويم التربوي، ط الأولى، مكتبة الرشد بالرياض، السعودية، سنة 2004م.
- جابر، عبد الحميد، وأحمد خيري كاظم: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط، الثانية القاهرة 1978م دار النهضة.

أولاً: منهج اختيار المادة العلمية:

اعتمد البصريون في مادة منهجهم العلمي على الأفصح من الألفاظ والأسهل منها على اللسان ولذلك اختاروا من بين القبائل التي اعتمدوا عليها القبائل المقطوع بعراقتها في العربية، والمصونة فطرتهم من رطانة الحضارة الأجنبية فاختاروا من العرب قيسا وتميما وأسدا، فأخذوا قواعدهم من هؤلاء في اللغة والإعراب والتصريف ثم أخذوا من هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يأخذوا عن حضري ولا من سكان البراري ممن يجاور الأمم الأخرى ومن هنا رفضوا الأخذ من لخم وجذام لمجاورتهم أهل مصر، ولم يأخذوا من قضاعة ولا من غسان لمجاورتهم أهل الشام، ولا من النمر لمجاورتهم اليونان، ولا من بكر لمجاورتهم النبط والفرس.

ثانياً: منهج اختيار سلامة لغة المأخوذة عنهم:

كان البصريون يختبرون سلامة لغة من يشكون في أمره، ممن سبق من القبائل الفصيحة ويروي ابن جني في ذلك فيقول: "ومن ذلك كما يُحْكَى من أن أبا عمرو استضعف فصاحة أبي خَيْرة لما سأله فقال: كيف تقول: استأصل الله عِرْقَاتهم، ففتح أبو خيرة التاء، فقال له أبو عمرو: هيهات أبا خيرة؛ لان جلدك! فليس لأحد أن يقول: كما فسدت لغته في هذا ينبغي أن أتوقف عنها في غيره "لما حذرناه" قبل ووصفنا". وهذا يعني أن اللحن أو ما يشبه ذلك ريَّ إلى الأعراب، لأن أبا عمرو كان قد سمع أبا خيرة يروي الشاهد بالفتح، فلم يتردد في مؤاخذة أبي خيرة، وهو أحد الأعراب الذين أخذت عنهم اللغة باللحن وذلك لتقدمه في السن وطول مخالطته لأهل الحواضر.

ثالثاً: منهج التثبت والتأكد من الثقات في صحة المروي:

كان البصريون يتحرون عن الرواة فلا يأخذون إلا برواية الثقات الذين سمعوا اللغة من الفصحاء عن طريق الحظة والأثبات الذين بذلوا الجهد في نقل المرويات قائليها منسوبة إليهم فقد أبوا أن يستدلوا بشاهد لم يعرف قائله خلافا للكوفيين.

رابعاً: منهج كمية المقيس عليه المنقول عند العرب:

اشترط البصريون فيما ينقل عن العرب الكثرة الكاثرة فيقعدون على الأكثر وإلا فعلى الكثير، وإلا فعلى القليل، وإلا فعلى الأقل، وإلا فعلى النادر، وإلا قاسوا الأشباه على الأشباه، والنظائر على النظائر إذا لم يتناقض مع الوارد ولذا اعتبر سيبويه قياس فعولة بفعيلة في النسب إليها بحذف حرف المد وقلب الضمة فتحة وإن لم يرد منها إلا شئ في النسب إلى شنوءة، لأنه لم يرد ما يخالف الوارد ما سبق من قياس أولوه أو اعتبروه شاذا يحفظ ولا يقاس عليه وقد ينكرونه أو يقولون إنه ضرورة.

- كيـاري، إبراهيم علي: منهج دراســـة علوم البلاغـة لمتعلمي اللغـة العربيـة_النـاطقين بلغـات أخرى، مقـالـة منشـــورة في المؤتمر الوطني الســـادس للغـة العربيـة بعنوان: (الإبـداع والابتكـار في تعليم اللغـة العربيـة بإندونيســيا في الثورة الصـــناعية 0, 4، جامعة مالانج الحكومية بالإندونيســيا – كلية الآداب – قســم الأدب العربي، وزارة البحوث والتكنولوجيا والتعليم العالي.
- محمد بن الحســن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، دار المعارف.
- محمد عيد: أصـــول النحو العربي: بلا تاريخ وبلا دار النشر والسنة
- مجلة كلية الدعوة الإســـلامية، بليبيا، العدد (7) ســـنة 1990م.
- مجلة الينابيع، إدارة العلاقات العامة والإعلام التربوي، بكلية المعلمين في حائل العدد (9) ربيع الآخر، ســـنة 1427ه.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة باستنبول تركيا، ط الأولى، دون تاريخ.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: 1423 هـ.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو جار الله، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، طبعة: الأولى، 1419 هـ -1998م
- رشـــدي أحمد طعيمة: الأســـس التربوية والنفســـية والاجتماعية لبناء مناهج_اللغة العربية في التعليم ما قبل الجـامعي، المجلـة العربيـة للتربيـة، المنظمـة العربيـة للتربية والثقافة والعلوم أليسكو) تونس، المجلد 5 ، العدد 2، سبتمبر، 1985م .
- رشدي طعيمة، الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية : إعدادها – تطويرها تقويمها، القاهرة، دار الفكر العربي، 1998م.
- عبد الرحمن بن خلدون المالكي: مقدمة ابن خلدون، دار الفكر ببيروت، لبنان، ط الأولى، سنة 1981م.
- عبد الســـلام هارون، قواعد الإملاء، دار الكتب العلمية ببيروت، ط الثالثة، سنة 1985م.
- على جارم ومصـــطفى أمين: البلاغة الواضـــحة، مكتبة الآداب بالقاهرة، ط الأولى، سنة 2002م.